المقالة الأولى[1]
بتحديد جهة الولاء تتنامىٰ قوّة العطاء

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد: ·

فإنّ الله تعالىٰ خلق الناس وأودع فيهم طبائع لها تأثير بالغ في دعم مسيرة البناء في الأرض انطلاقاً من علم الله تعالىٰ بهذا الإنسان لأنه هو الذي خلقه ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾[2] ومن هذه الطبائع التآلف في حال التجانس والتنافر في حال الاختلاف كما قال ﷺ ﴿**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**﴾[3] لأن التجانس يعني شعور المتجانسين بوحدة الانتماء حتى يرى كل واحد منهم أنه جزء من المجموع

---

(١) شهر محرم سنة ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة الملك: آية ١٤.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً (الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة...) انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٣٣٢ كتاب البر والصلة. باب الأرواح جنود مجندة رقم الحديث ١٧٧٢.

العام المتجانس وبالتالي فإن المصير واحد إن كان خير فهو للجميع وإن كان شر فهو للجميع وهذا هو المعنىٰ الذي يريد الإسلام أن يغرسه في قلوب المسلمين جميعاً متجاوزاً به حواجز اللغة وحواجز اللون وحواجز النسب كما قال تعالىٰ: **﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾**[1] وفي الحديث «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم وهم يد علىٰ من سواهم»[2].

ولذلك شرع التعارف بين المسلمين من خلال الوقوف علىٰ الاسم والعمل والسكن والماضي والحاضر ليصبح التعارف بمثابة كشاف لحقيقة المتعارفين فيطمئن بعضهم إلىٰ بعض حين يقفون به علىٰ التجانس أو التقارب فتمتد الأيدي للتعاون وتنفتح النفوس للمحبة والتناصر.

وهذا هو المقصود من تذكير القرآن للعرب في مكة بحقيقة محمد ﷺ وأنه من أبناء مكة المشاركين في الحياة علىٰ أرضها والدخول والخروج إلىٰ منازلها وأسواقها ومنتدياتها

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٢) رواه أحمد وأبو داوود والنسائي وصححه الحاكم. انظر بلوغ المرام ص ٢٤٥ رقم الحديث ١١٩٣.

وتجمعاتها فلا موجب للنفرة منه ولا للتنفير لأنه ما دام من أهل البلد معروف المداخل والمخارج معروف الماضي والحاضر فإن مصيره مرتبط بمصير أهل بلده وخاصة نسبه فلا يمكن أن يخونهم ولا أن يدلّس عليهم لأنه لم يعرف عنه في حياته قبل البعثة كذب ولا غش ولا خديعة ولا خيانة ولا حقد ولا كراهية كما قال تعالىٰ: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**[1] **﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[2] **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[3] **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾**[4].

ولكن الخوف علىٰ المواقع الوجاهية عند زعماء قريش حملهم علىٰ الطعن في ذاته وشخصه بعد أن عجزوا عن الطعن به من جهة الارتباط الخارجي لتنفير الناس عنه ومنع تنامي قوّة العطاء لديه.

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.
(٣) سورة الجمعة: آية ٢.
(٤) سورة يونس: آية ١٦.